وقد ناظرته في افضلية طريقة التمثيل عندنا فقام يعارضني على ما يجد في لسانه من حبسة وعجز عن التكلم بالفرنسية وابان عن فضل جم وعلم واسع فانقلبت من المجلس وانا احترمه واجله

النقل والنقلة

ليس العلم وقفاً على امة معينة ولا على اهل دين خاص ولغة خاصة بل العلم مشاع بين سكان الارض يقتبسه الراغبون فيه ممن عرفوا غناءه لهم وفائدته لقيام جامعتهم واعلاء كلمتهم كما ان الحضارة تنتقل من يد الى يد وتأخذها الامة المتحضرة عن جارتها او ترثها عن اختها الذاهبة . ولذلك لم تستغن امة في النقل عن غيرها ما يعوزها من علوم الاشر على اختلاف انواعها نقلاً ينتفع به اهل جيلها وقبيلها ويؤثر الاثر المطلوب في العقول . فقد نقل الفرس علومهم عن جيرانهم الهنود ونقل الرومان عن اليونان ونقل اليونان عن المصريين ونقل العرب عن اليونان والفرس ونقل الافرنج عن العرب واليونان والرومان وغيرهم من امم الخليقة . وقد مست الحاجة في هذا النقل الى ترجمة اهم كتب اولئك الاقوام في الصناعات والديانات وعلوم الحكمة والطب والرياضيات والشرائع والتاريخ والادب .

هذا الكثير من العلوم التي نراها لعهدنا وكتبها التي لاتحصى في كل ضرب من ضروب المعرفة النافعة لسعادة الخلق هي ولا جرم من عمل القرون المتطاولة هي زبدة تجارب صفوة بني آدم واغض ثمرات عقولهم منذ الوف من السنين تكونت فيها امم كثيرة ثم بادت وقامت مدنيات تذكر ثم سقطت منها ما نقل الينا ومنها ما لم ينقل . فكما ان اللغات والشعوب ترجع الى اصول قليلة تفرع عنها هذا العدد الكثير من الاجيال المعروفة في قارات الكرة الارضية الخمس فكذلك كانت العلوم

قليلة وما برحت تنمو بنمو الايام والازمان . وحال النقل من حيث القلة والكثرة حال العلوم والامم حذو النعلة بالقذة .

ولما تمّ للعرب النصر وتبسطوا في مناحي الملك والسلطان وانتشرت لغتهم في معظم الاصقاع التي افتتحوها انصرفت عنايتهم الى تنظيم بلادهم بنظام الامم التي سلفتهم اذ ايقنوا ان ليس كالعلم كفيلاً ببقاء امة وضامناً لها سعادتها والعلم لا يتم الا بالنقل عن امة اخرى . وقد امر الرسول صلى الله عليه وسلم احد اصحابه بتعلم لغة اليهود كما تعلم بعض الصحابة لغة الحبشة لما هاجروا اليها في بدء الدعوة الاسلامية . دع عنك من دخلوا في الاسلام من الفرس ومن تعلم من العرب لغة فارس . وهذا كان مبدأ النقل والتعريب وان لم يؤثر عن هذا الدور كتاب ولا رسالة لان الامة كانت أمية ولم تكن دونت بعد امم علم عندها الا وهو علم الدين فاحرِ بها ان لا تنقل عن غيرها علوماً هي بالنسبة اليها ثانوية .

واول كتاب نقل الى العربية كتاب اهرن بن اعين وجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فامر باخراجه ووضعه في مصلاه واستخار الله في اخراجه الى المسلمين للانتفاع به فلما تمّ له في ذلك اربعون صباحا اخرجه الى الناس وبثه في ايديهم . وكان المنصور اول من عُني من العباسيين بنقل شيء من علوم الاوائل ثم مشى على اثره جعفر البرمكي وجماعة من صنائع الدولة الا ان غرام المأمون بذلك كان من وراء الغاية

قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي ان العرب في صدر الاسلام لم تُعن بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًا اليها فهذه كانت حال العرب في الدولة الاموية فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك

اليهم ثبت الهمم من غفلتها وهبت الفطن من ميتتها وكان اول من عني منهم بالعليم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعته في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم .

قال ولما افضت الخلافة الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هرون الرشيد تمم ماابدأ به جده المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعه وداخل ملك الروم وسأله صلته بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليه منها ماحضرهم فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن ثم حرض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علما منه بان اهل العلم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده اه .

نعم بلغت عناية المأمون بالعلم والنقل اني لافوقها وقد ادعى بعضهم ان عدد المترجمين والناقلين والمصححين الذين حشرهم اليه من اطراف مملكته كانوا ثلثمائة رجل من مختلف الاديان والمذاهب امرهم ان لايجعلوا للتعصب عليهم سبيلا وان ينبذوا الجدالات الدينية ظهريا لتكون اجتماعاتهم علمية صرفة . وقيل انهم كانوا يجتمعون مرة في الاسبوع فتعرض المترجمات على أناس من اهل العلم والبصر بالعربية فيقرون سليمها وينبذون سقيمها . وعلى عهده كثر الاعتماد على النحت والاشتقاق والوضع لترجمة المصطلحات الطبية وغيرها من العلوم المادية وكان المأمون ينفق على المترجمين اكثر مما يصرفه غيره على ملاذه في بضع عشرات من السنين .

وبعد فان في الناس من لايعدون من المؤلفين غير من يأتون بشيء من عندهم ولو غثاً تافها او ينقلون كلاما لغيرهم وينسقونه ويضيفون اليه ما يشاؤون على ان من عنوا باجادة النقل والترجمة من امات الاعاجم الى لغتهم هم في الاكثر ليسوا في فضلهم وافضالهم دون اولئك المؤلفين بل ان من ينقل علما لاعهد لامته به افضل

من اكثر ارباب التواليف والمصنفات .

ولذلك تقاضانا عرفان الجميل لبيض ايادي اولئك التراجمة في الاسلام ان نذكر اسماء من عثرنا عليهم (١) منهم وندل على الجهابذة المهرة فيهم . ولا بد من الاشارة الى ان معظم التراجمة قديماً وحديثاً كانوا من غير اهل الاسلام لحكمة ربما كان فيها معنى من معاني ما قبل من ان العلم لو نزل من السماء لتلقاه قوم من اهل فارس . ولعل تقسيم الاعمال قضى على المسلمين ان ينقطع علماؤهم الى تدوين العلوم الدينية واللسانية وتركوا غيرها من الاشغال العلمية لمن يحسنها او يخلق وقد لقنها من صغره من اهل ذمتهم او غير ارباب نحلتهم .

نقل اصطفان القديم الكيمياء لخالد بن يزيد الاموي في القرن الاول كما تعلمها هذا من مريانوس الراهب الرومي فكان هذا اول كتاب نقل . ونقل ماسرجويه السرياني كتاب اهرن بن اعين بأمر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . وكان البطريق في ايام المنصور وامره بنقل اشياء من الكتب القديمة وابنه ابو زكريا يحيى ابن البطريق وكان في جملة الحسن بن سهل . وكان حنين بن اسحق اول من نقل شيئاً من علوم الروم الى السرياني ثم الى العربي وكان هذا الرجل يحسن السريانية والعربية والرومية والفارسية بل يعرف غريبها ومستعملها وهو الذي اختار له المتوكل لما أتمنه على الترجمة كتاباً نحارير وكانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا كاصطفين بن بسيل وموسى بن خالد الترجمان وقيضا الرهاوي وسيرجس الرامي . وما انا بمبالغ لو قلت ان حنيناً نقل ربع ماترجم الى العربية من علوم الاوائل ايام التمدن الاسلامي وكان ربعه الجيد الذي لاغبار عليه وذلك لانه كان زيادة على احكامه لتلك اللغات الاربع عالماً بالعلوم التي ينقلها من طبها وفلسفتها . ولحنين

(١) اعتمدت غالباً على كلام ابن ابي اصيبعة وابن النديم

ولدا ن داود واسحق «صنف لهما كتباً طبية في المبادي، والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس واشتهر اسحق وتميز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة الا ان جلّ عنايته كانت مصروفة الى نقل الكتب الحكمية» وكان اسحق يحسن اللغات التي يحسنها أبوه وقلد هارون الرشيد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة مما وجد بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم ووضعه أمينا على الترجمة · وكان جرجس ابن جبرائيل اول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية الى العربية عند ما استدعاه المنصور · وحبيش الاعسم بن أخت حنين بن اسحق وتلميذه ناقل مجود يلحق بحنين واسحق · وعيسى بن يحيى بن ابراهيم كان ايضاً تلميذاً لحنين بن اسحق وكان فاضلا اثنى عليه حنين ورضي نقله وقلده فيه · وقسطا بن لوقا البعلبكي كان ناقلاً خبيراً باللغات فاضلاً في العلوم الحكمية وغيرها · وما نقله أيوب المعروف بالابرش في آخر عمره يضاهي نقل حنين · وسلاّم الابرش من النقلة القدماء في أيام البرامكة · ويوجد بنقله السماع الطبيعي · وابو النصر يداري بن أيوب وابن رابطة وتيوفيلي وشملي وعيسى بن نوح وقويري وداريع الراهب وهيابثيون وصليبا وثابت بن قمع وايوب وسمعان فسر زيج بطليموس لمحمد بن برمك · وابو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب · وترجم آل نوبخت الى الفارسية وترجموا منها ولابن نوبخت الفضل بن نوبخت نقل حنين في النجوم ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد · ومن النقلة من الفارسي الى العربي علي بن زياد التميمي ويكنى ابا الحسن وسهل بن هارون والبلاذري احمد بن يحيى وجبلة بن سالم كاتب هشام واسحق بن يزيد ومحمد بن بهرام بن ميطار الاصفهاني والفتح بن علي البنداري وعبد الله بن علي وابو حاتم البلخي ومحمد بن الجهم وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وزادويه ابن شاهويه الاصفهاني وبهرام بن مرداشان وعمر بن الفرخان · وابن الفرخان هذا

هو احد حذاق التراجمة في الاسلام وهم كما قال ابو معشر في كتاب المذاكرات حنين بن اسحق و يعقوب بن اسحق الكنـدي وثابت بن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري ·

ونقل من السريانية الحدبثي الكاتب والحسن بن البهلول الاواني الطبرهاني وابو البشر متى والتغليسي ومرلاحي نقل بين يدي علي بن ابراهيم الدمكي ودار يشوع كان يفسر لاسحق بن سليمان بن علي الهاشمي و كذلك ابراهيم بن بكس وعلي بن ابراهيم بن بكسن وايوب بن قاسم الرقي ومن نقله كتاب الايساغوجي · ونقل من الهندية او السنسكريتية الى العربية منكة الهندي وابو الريحان البيروني وابن دهن ومن الكلدانية او النبطية ابن وحشية ونقل سعيد الفيومي عن العبرانيـة · وكان ابو علي عيسى بن زرعة اليعقوبي المنطقي احد الثقلة المجودين وله تصانيف مذكورة · ونقل من السرياني الى العربي ونقل عيسى الرقي من اطباء سيف الدولة ابن حمدان من السريانية ايضاً ونقل منها ايضاً ماسرجيس الطبيب وعيسى بن ماسرجيس كان يلحق بابيه و كذلك شهدي الكرخي وابن شهدي وكانا متوسطين وفاق الابن ابا في آخر عمره ومن المعروفين بالترجمة ابن جلجل وابو عبد الله الصقلي

ونقل الحجاج بن مطر للمأمون كتباً منها كتاب اقليدس والمجسطي ثم اصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحراني ونقل للمأمون ايضا عدة كتب حبيب بن بهريز مطران الموصل وممن نقل عن السريانية كثيراً ابو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار وابو الفرج الملطي و يحيى بن عدي اليعقوبي · ونقل عن الفارسية عبد الله بن علي الفارسي وعبد بن المقفع نقل عن البهلوية اي الفارسية واليونانية كثيراً من كتب الحكمة وممن اجاد النقل من السريانية وغيرها الحسن ثابت بن قرة الصابي ومن تلاميذه عيسى بن اسيد وكان يقدمه و يفضله · ونقل من اليونانية

نظيف القس الرومي ·

وكان عبد المسيح بن عبد الله الناعمي الحمصي المعروف بابن ناعمة متوسط النقل وهو الى الجودة اميل وفي درجته زروبا بن منحوه (ماجوه) الناعمي الحمصي · وكان هلال بن أبي هلال الحمصي صحيح النقل ولفظه مبتذل وكذلك كان قشيون الترجمان يلحن ولا علم له بالعربية وكان ابو نصر بن ناري بن أيوب قليل النقل لا يعتد بما نقل ويفوقه بسيل المطران وكان الى الجودة اميل · ومن المتوسطين في نقلهم اسطاث وحيرون بن رابطة وابراهيم بن الصلت وثابت الناقل ويوسف الناقل تلميذ عيسى بن صهربخت وايوب الرهاوي وابو يوسف الكاتب ويحيى بن البطريق وتدوس السنقل وابو سعيد عثمان الدمشقي ومنصور بن باناس وعبد يشوع بن بهريز وابراهيم بن بكس · هؤلاء التراجمة الذين عرفناهم في الاسلام واكثرهم كانوا يرزقون من نقلهم ويعملون مدفوعين بتنشيط الملوك والامراء والحريصين على خدمة العلم الا يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها فانه كان ينقل لنفسه ولم يرتزق بما كتب · وليس فضل من نشطوا التراجمة دون فضل من ذكرنا من المترجمين كما ان الافراد الذين نشطوا النقل ورزقوا اناساً عليه يذكرون بالرحمة كما يذكر عمر بن عبد العزيز وخالد الاموي والمنصور والرشيد والمأمون والمتوكل ·

فقد كان جعفر البرمكي وجماعة من اهل بيته يعنون بامر النقل والتعريب · وكان منكة الهندي في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي وكان ينقل من اللغة الهندية الى اللغة الفارسية وكان شيرشوع بن قطرب من اهل جندي سابور يبرّ النقلة ويهاديهم ويتقرب الى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال · ومنهم محمد بن موسى المنجم وهو احد بني موسى بن شاكر الحساب المشهورين والرياضيين

المذكورين وكان محمد هذا ابر الناس بحنين بن اسحق نقل له هذا كثيراً من الكتب الطبية . قال ابو سليمان المنطقي السجستاني ان بني شاكر وهم محمد واحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار .

ومنهم علي بن يحيى المعروف بابن المنجم احد كتاب المأمون وكان نديماً له وعنده فضل ومال الى الطب فنقلوا له منه كتباً كثيرة . ومنهم تادرس الاسقف كان أسقفاً في الكرخ وكان حريصاً على طلب الكتب متقرباً الى قلوب نقلتها فحصل منها شيئاً كثيراً وصنف له قوم من الاطباء كتبا لها قدر وجعلوها باسمه . ومنهم محمد بن موسى بن عبد الملك نقلت له كتب طبية وكان من جملة العلماء الفضلاء يلخص الكتب ويعتبر جيد الكلام فيها من رديئه . ومنهم عيسى بن يونس الكاتب الحاسب من جملة الفضلاء بالعراق وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية .

ومنهم علي المعروف بالفيوم اشتهر باسم المدينة التي كان عاملها وكان النقلة يحصلون من جانبه ويتارون من فضله . ومنهم احمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب وكان يصل الى النقلة من ماله وافضاله شيء كثير . ومنهم ابراهيم بن محمد ابن موسى الكاتب وكان حريصاً على نقل كتب اليونان ومشتملاً على اهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة . ومنهم عبد الله بن اسحق وكان ايضا حريصاً على نقل الكتب وتحصيلها . ومنهم محمد بن عبد الملك الزيات وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر الفي دينار ونقل باسمه كتب عدة وكان ايضا ممن نقلت له الكتب اليونانية وترجمت باسم جماعة من اكابر الاطباء مثل يوحنا بن ماسويه وجبرئيل بن بختيشوع وبختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع وداود بن سرابيون

وسلمويه بن بنان واليسع واسرائيل بن زكريا بن الطيفوري وحبيش بن الحسن

هذا ماوقفت عليه من حال المتوفرين على النقل والمرغبين فيه فديناً وقد فقدت ملكته من الامة مدة تربو على خمسة قرون حتى اذا كان اواسط القرن الثالث عشر للهجرة عادت الى الترجمة بعض خياتها السانفة بفضل النابغين من مدارس الافرنج في البلاد العربية او بالمتخرجين على اساتذة بعض المدارس الوطنية ممن تشبعوا بآداب الامم الراقية وقادوهم في ممارسة الاعمال العلمية فنقلوا وما برحوا ينقلون اتاحهم الله بعض ماتمس اليه الحاجة من علوم الامم الغربية على قلة نصيرهم وفقدان البواعث والدواعي مدفوعين الى ذلك بعاملين الا وهما احياء لغة عذبة وخدمة العلم الصحيح ولا امة اذا فقدت لغتها ولا مدنية اذا لم يأخذ الخلف عن السلف والمتأخر عن المتقدم والجاهل عن العالم

المجرّة

ماذا برقراق السحائب ضمن المجرّة من كواكب
ليست كزعم بعضهم نهراً يفيض على الجوانب
كلاّ ولا هي لو تعي زبدٌ بوجه السيل ذائب
كلاّ ولا وادٍ على طرفيه قد صُفّت كتائب
حيث الاسنة داخل الا م هبوات تضحك والقواضب
أهناك جيشٌ لا ابا لك حذوَه جيشٌ محارب
فلننتظر حتى نرى من ذا من الجيشين غالب
كلاّ ولا سدمٌ حوت غازاً فهذا الظن كاذب
لكن شموسٌ جاريا تٌ ضمن هاتيك السحائب